سورة القمر

مكية [إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية]

وآياتها ٥٥ [نزلت بعد الطارق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾

انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين (١٥٢٤). وكذا عن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ، قال ابن عباس: انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت[1]

١٥٢٤ ـ ورد انشقاق القمر عن جماعة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم أنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عمر، وجبير بن مطعم، وابن عباس.

ـ حديث أنس بن مالك:

أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية فأراهم انشقاق القمر حديث (٣٦٣٧) وفي (٧/ ٢٢١) كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر حديث (٣٨٦٨) وفي (٨/ ٤٨٤) كتاب التفسير: باب (وانشق القمر) حديث (٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين: باب انشقاق القمر حديث (٤٦/ ٢٨٠٢) والترمذي (٥/ ٣٩٧) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٦)، وأحمد (٣/ ٢٧٥، ٢٧٨)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٢٣ منحة) رقم (٢٤٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٨٨ ـ ٣٢٦٩٣) وأبو يعلى (٥/ ٣٠٦) رقم (٢٩٢٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) من طرق عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. =

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل، من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وفي الصحيحين عنه: «انشق القمر على زمان رسول الله ﷺ».

= ـ حديث عبدالله بن مسعود:
أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية فأراهم انشقاق القمر حديث (٣٦٣٦) وفي (٧/ ٢٢١) كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر حديث (٣٨٦٩) و(٣٨٧١) وفي (٨/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) كتاب التفسير: باب (وانشق القمر) حديث (٤٧٦٤، ٤٨٦٥) ومسلم (٤/ ٢١٥٨ ـ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر حديث (٤٣، ٤٤، ٤٥/ ٢٨٠٠) والترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٧) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٤، ٣٢٦٩٥) والحاكم (٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٥) كلهم من طريق أبي معمر عن عبدالله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: اشهدوا.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبدالله بن مسعود مختصرًا وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعضهم لبعض لمغايظة أهل الإلحاد فإنه أول آيات الشريعة أ. هـ.
وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود.
فأخرجه الحاكم (٢/ ٤٧١) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٨) من طريق الأسود عن ابن مسعود وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة وبهذا اللفظ.
ووافقه الذهبي
وهذا الطريق ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل».
وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٩) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٢٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٦) من طريق أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.
ـ حديث ابن عمر:
أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين: باب انشقاق القمر حديث (٢٨٠١) والترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٨) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٦) والحاكم (٢/ ٤٧٢) وأبو نعيم في «الدلائل» (ص ٢٠١) والبيهقي (٢/ ٢٦٧) كلهم من طريق شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر بمثل حديث ابن مسعود المتفق على صحته.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ـ حديث جبير بن مطعم:
أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٩) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٦) رقم (٣٢٧٠٥) من طريق حصين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم. =

(١٥٢٥). وقال ابن مسعود: رأيت حراء بين فلقتي القمر[1] (١٥٢٦). وعن بعض الناس: أن معناه ينشق يوم القيامة. وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ يرده،

= وقال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده جبير بن مطعم نحوه أ. هـ.

قلت: والطريق الذي أشار إليه الترمذي رحمه الله أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٢) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٨).

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور»(٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وأبي نعيم في «الدلائل».

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية فأراهم انشقاق القمر حديث (٣٦٣٨) وفي (٨/ ٤٨٤) كتاب التفسير: باب (وانشق القمر) حديث (٤٨٦٦) ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين: باب انشقاق القمر حديث (٤٨/ ٢٨٠٣) والحاكم (٢/ ٤٧٢) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٦) رقم (٣٢٧٠٧) من طريق عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال: انشق القمر في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

تنبيهات

(١) صحح الحاكم رحمه الله حديث ابن عمر وابن عباس على شرط الشيخين وهذا منه وهم رحمه الله فحديث ابن عمر قد أخرجه مسلم وحديث ابن عباس قد اتفق الشيخان على إخراجه.

(٢) عزا السيوطي رحمه الله حديث أنس بن مالك وجبير بن مطعم إلى أبي نعيم في «الدلائل» ولم أجد حديث واحد منهما عنده بعد البحث والتحري.

(٣) الحديث من هذه الطرق يبلغ حد التواتر على شرط بعض العلماء.

وقال الحافظ: متفق عليه من رواية قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

١٥٢٥ ـ ينظر الحديث السابق وقال الحافظ:

أخرجه أبو نعيم في الدلائل، من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وفي الصحيحين عنه: «انشق القمر على زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ». انتهى

١٥٢٦ ـ ينظر حديث (١٥٢٤)

وقال الحافظ:

أخرجه ابن مردويه من رواية منصور عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال: «ولقد رأيت والله حراء بين الشقتين» وفي الصحيحين عن أبي معمر عنه: «بينما نحن مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، وكان فلقة وراء الجبل وفلقة دونه. فقال «اشهدوا» وفي الباب عن ابن عمر في مسلم. وعن جبير بن معطم. عن الحاكم في المستدرك، وعند أحمد أيضًا. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن مردويه من رواية منصور عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال: «ولقد رأيت والله حراء بين الشقتين»، وفي الصحيحين عن أبي معمر عنه «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، وكان فلقة وراء الجبل وفلقة دونه. فقال: اشهدوا» وفي الباب عن ابن عمر في مسلم. وعن جبير بن مطعم عن الحاكم في المستدرك، وعن أحمد أيضًا.

وكفى به رادًا، وفي قراءة حذيفة «وقد انشق القمر» أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم (١٥٢٧). مستمر: دائم مطرد، وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله، قيل فيه: قد استمرّ. لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات، قالوا: هذا سحر مستمرّ. وقيل: مستمرّ قويّ محكم، من قولهم: استمر مريره[1]. وقيل: هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته، أي: مستبشع عندنا، مرّ على لهواتنا، لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر[2]. وقيل: مستمرّ مازّ، ذاهب يزول ولا يبقى، تمنية لأنفسهم وتعليلاً. وقرئ: وإن يروا ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره ﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقرّ عليها، وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته. أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر، أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة. وقرئ: بفتح القاف، يعني «كل أمر ذو مستقرّ» أي: ذو استقرار. أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار. وعن أبي جعفر؛ «مستقر» بكسر القاف والجرّ عطفًا على الساعة، أي: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾

﴿مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾ من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة، وما وصف من عذاب الكفار ﴿مُّزۡدَجَرٞ﴾ ازدجار أو موضع ازدجار. والمعنى: هو في نفسه موضع

١٥٢٧ ـ أخرجه الحاكم (٤/٦٠٩)

وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ:

أخرجه الحاكم والطبراني وأبو نعيم من رواية ابن عُلية عن عطاء بن السائب عن ابن عبدالرحمن بهذا وأتم منه ورواه عبدالرزاق من وجه آخر عن عطاء وكذا أخرجه أحمد من رواية شعبة عن عطاء. انتهى.

---

(١) قوله: «استمر مريره» في الصحاح «المرير»: الغريمة وما لطف وطال واشتد فتله من الحبال. (ع)

(٢) قوله: «كما يساغ المر الممقر» في الصحاح مقر الشيء وأمقر، أي: صار مرًا. (ع)

الازدجار ومظنة له، كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: هو أسوة. وقرئ: «مزّجر» بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاي فيها ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدل من ما. أو على: هو حكمة. وقرئ بالنصب حالاً من ما. فإن قلت: إن كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب «حكمة» حالاً، فكيف تعمل إن كانت موصوفة؟ وهو الظاهر. قلت: تخصصها الصفة؛ فيحسن نصب الحال عنها ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ نفي أو إنكار. وما منصوبة، أي: فأيّ غناء تغني النذر ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم. نصب ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ بيخرجون، أو بإضمار اذكر. وقرئ: بإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها، والداعي إسرافيل أو جبريل، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة. وقرئ: «نكر» بالتخفيف؛ ونكر بمعنى أنكر/ ٢/ ٢٠٣أ ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ حال من الخارجين فعل للأبصار وذكر، كما تقول: يخشع أبصارهم. وقرى: «خاشعة» على: تخشع أبصارهم. وخشعًا، على: يخشعن أبصارهم، وهي لغة من يقول: أكلوني البراغيث، وهم طيء. ويجوز أن يكون في ﴿خُشَّعًا﴾ ضميرهم، وتقع ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ بدلاً عنه. وقرئ؛ خشع أبصارهم، على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال. كقوله [من البسيط]:

. . . . . وَجَدْتُهُ حَاضِرَاهُ الْجُودُ وَالْكَرَمُ[1]

وخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما. وقرئ: يخرجون من الأجداث؛ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ الجراد مثل في الكثرة والتموّج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد، وكالدبا[2] منتشر في كل مكان لكثرته ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين مادّي أعناقهم إليه. وقيل: ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم. قال [من الطويل]:

تَعَبَّدَنِي نِمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى وَنِمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطِعُ[3]

---

(١) إن الذي كنت أرجو فضل نائله وجدته حاضراه الجود والكرم

يقول: إن الذي كنت أرجو بقية عطائه أو زيادة عطائه ـ وجدته مصاحبًا للجود والكرم. وهما مبتدأ خبره حاضراه، والجملة محلها نصب مفعول ثان، وحضورهما: كناية عن قيامهما به.

(٢) قوله: «كالجراد وكالدبا»، في الصحاح «الدبا» الجراد قبل أن يطير، والواحدة دباة. (ع)

(٣) الكلام على حذف حرف الاستفهام الإنكاري، أي: أيتخذني عبدًا هذا الرجل، وحذف مفعول أرى لدلالة الحال عليه، وهو قوله: ونمر بن سعد مطيع لي ومهطع، أي: منتظر أمري ليمتثله، أو مسرع إلى امتثاله، وأظهر في مقام الإضمار تعجبًا منه واستخفافًا بشأنه، ونمر: بسكون الميم.
ينظر: لسان العرب (عبد)، (نمر)، (هطع)، وديوان الأدب ٢/ ٣١٢، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٠٦، وكتاب العين ١/ ١٠١، ٢/ ٤٨، وأساس البلاغة (عبد)، (هطع)، وتهذيب اللغة ١/ ١٣٥، وتاج =

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحًا. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾[1]؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا أي: كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا، أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأسًا كذبوا نوحًا؛ لأنه من جملة الرسل ﴿مَجْنُونٌ﴾ هو مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] وقيل: هو من جملة قيلهم، أي: قالوا هو مجنون، وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه. قرئ: أني، بمعنى: فدعا بأني مغلوب، وإني: على إرادة القول، فدعا فقال: إني مغلوب[2] غلبني قومي، فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فَانْتَصِرْ﴾ فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم، وإنما دعا بذلك بعد ما طمّ عليه الأمروبلغ السيل الزُبا[3]، فقد روي: أنّ الواحد من أمّته كان يلقاه فيخنقه حتى يخرّ مغشيًا عليه. فيفيق وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا

= العروس (نمر)، (هطع).

(١) قال محمود: «إن قلت: ما فائدة كذبوا بعد قوله: كذبت قبلهم قوم نوح... إلخ» قال أحمد: قد تقدم كلامه على قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ وأجاب عنه بجوابين: أحدهما متعذر ههنا، والآخر: ممكن وهو أن ذلك كقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر ـ بمحمد عليه الصلاة والسلام ـ، وقد مضى لي جوابان: أحدهما: يمكن إجراؤه هنا، وحاصله منع ورود السؤال؛ لأن الأول مطلق والثاني مقيد؛ فليس تكرارًا. وهو كقوله في هذه السورة: (فتعاطى فعقر) فإن تعاطيه هو نفس عقره، ولكن ذكره من جهة عمومه، ثم من ناحية خصوصه إسهابًا، وهو بمثابة ذكره مرتين، وجواب آخر هنا: وهو أن المكذب أولاً محذوف دل عليه ذكر نوح، فكأنه قال: كذبت قوم نوح نوحًا، ثم جاء بتكذيبهم ثانيًا مضافًا إلى قوله: (عبدنا) فوصف نوحًا بخصوص العبودية، وأضافه إليه إضافة تشريف؛ فالتكذيب المخبر عنه ثانيًا أبشع عليهم من المذكور أولاً لتلك اللمحة، والله أعلم.

(٢) قوله: «فدعا فقال: إني مغلوب» لعله: أي فدعا فقال. (ع)

(٣) قوله: «وبلغ السيل الربا» لعله جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض كالرابية. أفاده الصحاح؛ لكن فيه في حرف الزاي: والزبية الرابية لا يعلوها الماء. وفي المثل: قد بلغ السيل الزبى. والزبية: حفرة تحفر للأسد في موضع عال لأجل صيده. اهـ ملخصًا. (ع)

يعلمون. وقرئ: ففتحنا مخففًا ومشدّدًا، وكذلك وفجرنا ﴿مُنْهَمِرٍ﴾ منصبّ في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض ونظيره في النظم ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني مياه السماء والأرض. وقرئ: «الماءان»، أي: النوعان من الماء السماوي والأرضي. ونحوه قولك: عندي تمران، تريد: ضربان من التمر: برني ومعقلي. قال [من الطويل]:

لَنَا إِبِلَانِ فِيهِمَا مَا عَلِمْتُمُ ....[1]

وقرأ الحسن «الماوان»، بقلب الهمزة واوًا، كقولهم: علباوان ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء. وقيل: على حال جاءت مقدّرة مستوية: وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. وقيل: على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودي مؤداها. بحيث لا يفصل بينها وبينها. ونحوه [من الخفيف]:

..... وَلَكِنْ نَ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ[2]

أراد: ولكن قميصي درع، وكذلك [من الطويل]:

---

(١) لنا إبلان فيهما ما علمتم فعن أيهما ما شئتم فتنكبوا؟

يقول: لنا قطيعان من الإبل فيهما قرى الأضياف وصلة الفقراء، فاحملوا ما شئتم منهما على مناكبكم، أي: خذوه وافصلوه عن الباقي. أو المعنى: اعدلوا عنهما وانصرفوا عما أردتموه منهما في مناكب الأرض، فإننا حماته. وأيهما: بالسكون لغة في أي المشددة. وما شئتم: بدل منه. ويجوز أن «ما» زائدة، أي: ففي أيهما شئتم فانصرفوا في مناكب الأرض وطرقها مبعدين عنهما. ويجوز أن «ما شئتم» مفعول به، أو مفعول مطلق مقدم على عامله، والفاء الثانية تكرير للأولى. ويجوز أنها إشارة إلى ما في المعمول من معنى الشرط، أي: فإما عن أيهما، أو فإما ما شئتم فتنكبوا، أي: تجنبوا.

وهو لشعبة بن قمير في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٦١، ولعوف بن عطيّة في الأصمعيّات ص ١٦٧ (بتغيير القافية، ففيه «فسالما» مكان «فتنكبوا»)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧/ ٥٦٤، ٥٨٠، وشرح المفصل ٤/ ١٥٤، ولسان العرب (نكب).

(٢) مفرشي صهوة الحصان ولكنـ نَ قميصي مسرودة من حديد

الصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس. يقول: مفرشي ظهر حصاني. وقميصي: درع من حديد متتابعة النسج، يعني أنه ليس من أهل التنعم، بل من أهل البدو والغزو. والاستدراك من باب استتباع المدح بما يشبه الذم، مبالغة في المدح.

البيت للمتنبي، ينظر: ديوانه ١/ ٦٣، الدر المصون (٦/ ٢٢٧).

.... وَلَـوْ فِـي عُـيُـونِ الـنَّـازِيَـاتِ بِـأَكْـرُعِ[1]

أراد: ولو في عيون الجراد. ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة، أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين، لم يصح، وهذا من فصيح الكلام وبديعه. والدسر: جمع دسار: وهو المسمار، فعال من دسره إذا دفعه؛ لأنه يدسر به منفذه ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده، أي فعلنا ذلك جزاء، ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح ـ عليه السلام ـ، وجعله مكفورًا لأنّ النبي نعمة من الله ورحمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكان نوح ـ عليه السلام ـ نعمة مكفورة، ومن هذا المعنى ما يحكى أنّ رجلاً قال للرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنى هذا الكلام؟ قال: أنت نعمة حمدت الله عليها. ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرأ قتادة: كفر، أي جزاء للكافرين. وقرأ الحسن «جزاء»، بالكسر: أي مجازاة. الضمير في ﴿تَرَكۡنَٰهَآ﴾ للسفينة. أو للفعلة، أي: جعلناها آية يعتبر بها. وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على الجودي دهرًا طويلاً، /٢/٢٠٣ب حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. والمدّكر: المعتبر. وقرئ: «مذتكر» على الأصل. ومذكر، بقلب التاء ذالاً وإدغام الذال فيها. وهذا نحو: مذجر. والنذر: جمع نذير وهو الإنذار ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ أي سهلناه للادكار والاتعاظ، بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد ﴿فَهَلۡ مِن﴾ متعظ. وقيل: ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه. ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر، من يسر ناقته للسفر: إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو: إذا أسرجه وألجمه. قال [من الطويل]:

وَقَـمـتُ إِلَـيْـهِ بِـالـلِّـجَـامِ مُـيَـسِّـرًا هُـنَـالِـكَ يَـجْـزِيـنِـي الَّـذِي كُـنْـتُ أَصْـنَـعُ[2]

---

(١) وإنـي لأسـتـوفـي حـقـوقـي جـاهـدًا ولـو فـي عـيـون الـنـازيـات بـأكـرع

يقول: ولا بد من الاجتهاد في تخليص حقوقي وأخذها، ولو كانت في أخفى مكان وأبعده كعيون الجراد النازيات الواثبات بأكرع، أي أرجل دقيقة جمع كراع: فحذف الموصوف وكنى عنه بالنازيات صفته لجريانها مجرى الاسم. وقيل: المعنى لا بد من أخذ إبلي ولو كانت هزالاً جدًا بحيث ترى في عيون الجراد لصغرها، أي: ولو كانت كأنها كذلك.

ينظر: الدر المصون (٦/٢٢٧).

(٢) أرى أم سـهـل لا تـزال تـفـجـع تـلـوم ومـا أدري عـلام تـوجـع
تـلـوم عـلـى أن أمـنـح الـورد لـقـحـة ومـا تـسـتـوي والـورد سـاعـة تـفـزع
إذا هـي قـامـت حـاسـرًا مـشـمـعـلـة نـخـيـب الـفـؤاد رأسـهـا مـا يـقـنـع
وقـمـت إلـيـه بـالـلـجـام مـيـسـرًا هـنـالـك يـجـزيـنـي الـذي كـنـت أصـنـع

للأعرج المعنى الخارجي. وتفجع وتوجع: أصلها بتاءين حذفت إحداهما تخفيفًا. وعلام: استفهام عن علة التوجع. وأمنح: أعطي والورد: اسم فرسه. واللقحة: اللبن الحليب. والحاسر: العريانة =

ويروى: أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظرًا ولا يحفظونها ظاهرًا كما القرآن.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَنُذُرِ﴾ وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله. أو إنذار أتى في تعذيبهم لمن بعدهم ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ في يوم شؤم. وقرئ: «في يوم نحس» كقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾. [فصلت: ١٦]. ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم. أو استمر عليهم جميعًا كبيرهم وصغيرهم، حتى لم يبق منهم نسمة، وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور. ويجوز أن يريد بالمستمر: الشديد المرارة والبشاعة ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم، وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض[1]. يتدخلون في الشعاب، ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال عظام، كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع، منقعر: منقلع، عن مغارسه. وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأنّ الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجسادًا بلا رءوس. وذكر صفة ﴿نَخْلٍ﴾ على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنث، كما قال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

= الوجه. والمشمعلة: السريعة الجري. والنخيب: الخالية المجوفة. والمراد: التي ذهب عقلها ورأسها، ما يقنع: أي ما يستر بالقناع لدهشتها وخجلتها. وقوله: «الورد الأول» مفعول به، والثاني مفعول معه: هذا حال أم سهل. وأما حال مهره، فبينها في قوله: وقمت إليه مهيئًا ومعدًا له باللجام. أو مسهلًا له به، دلالة على أنه كان صعبًا لولا اللجام. وهنالك إشارة إلى مكان الحرب، أو إلى زمانها، يجزيني: أي يعطيني جزاء صنعي معه، وشبهه بمن تصح منه المجازاة على طريق المكنية، وصنعه: هو سقيه اللبن.

ينظر: البحر المحيط (٨/١٧٨)، الدر المصون (٦/٢٢٨).

(١) قوله: «آخذين أيديهم بأيدي بعض» عبارة النسفي: آخذين بعضهم بأيدي بعض. (ع)

﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ وقرئ: «أبشر منا واحد»، على الابتداء. «ونتبعه» خبره، والأوّل أوجه للاستفهام. كأن يقول: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق، وسعر: ونيران، جمع سعير، فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إذن كما تقول. وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب. والسعر: الجنون. يقال: ناقة مسعورة. قال [من الطويل]:

كَأَنَّ بِهَا سُعْرًا إِذَا الْعِيسُ هَزَّهَا ... ذَمِيلٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مُتْعِبُ[1]

فإن قلت: كيف أنكروا أن يتبعوا بشرًا منهم واحدًا؟ قلت: قالوا أبشرًا: إنكارًا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة[2]، وقالوا: ﴿مِّنَّا﴾ لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَٰحِدًا﴾ إنكارًا لأن تتبع الأمّة رجلاً واحدًا. أو أرادوا واحدًا من أفنائهم[3] ليس بأشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه قولهم: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة ﴿أَشِرٌ﴾ بطر متكبر، حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿مَنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذبه. وقرئ: «ستعلمون» بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبًا لهم. أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات. وقرئ: الأشر، بضم الشين، كقولهم حدث وحدث. وحذر وحذر، وأخوات لها. وقرئ: الأشر، وهو الأبلغ في الشرارة. والأخير والأشر: أصل قولهم: هو خير منه وشر منه، وهو أصل مرفوض، وقد حكى ابن الأنباري قول العرب: هو أخير وأشر، وما أخيره وما أشره ﴿مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ باعثوها ومخرجوها من الهضبة[4] كما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم وابتلاء ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم بينهم: لها شرب يوم ولهم شرب يوم. وإنما قال: بينهم، تغليبًا للعقلاء «محتضر» محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف

---

(١) السعر: الجنون، والمسعور: المجنون والذي ضربته السموم. يقول: كأن بناقتي جنون لقوة سيرها؛ فالعيس: جمع عيساء وهي النوق البيض، حركها ذميل وإرخاء: وهما نوعان من السير متعب كل منهما. وإسناد الهز إليهما مجاز عقلي من باب الإسناد للسبب؛ وإن أريد بالهز التسيير فيكون من الإسناد للمصدر. كجد جده؛ لكن المسند هنا من المتعدي، والمسند إليه من اللازم.

(٢) قوله: «أعلى من جنس البشر وهم الملائكة» تفضيل الملك على البشر مذهب المعتزلة. وأهل السنة يفضلون البشر على الملك. (ع)

(٣) قوله: «واحدًا من أفنائهم» وفي الصحاح: يقال هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو. اهـ، ولم يذكر له واحدًا. (ع)

(٤) قوله: «ومخرجوها من الهضبة» في الصحاح «الهضبة» الجبل المنبسط على وجه الأرض. (ع)

أحيمر ثمود ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له، فأحدث العقر بالناقة. وقيل فتعاطى الناقة فعقرها، أو فتعاطى السيف ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صيحة جبريل. والهشيم؛ الشجر اليابس المتهشم المتكسر. والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة وما/ ٢/ ٢٠٤أ يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم. وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار، أي: الحظيرة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿حَاصِبًا﴾ ريحا تحصبهم بالحجارة، أي: ترميهم ﴿بِسَحَرٍ﴾ بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران، فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه، وأنشد [من الرجز]:

مَرَّتْ بِأَعْلَى السَّحَرَيْنِ تَذْأَلُ[1]

وصرف لأنه نكرة. ويقال: لقيته سحر: إذا لقيته في سحر يومه ﴿نِّعْمَةً﴾ إنعامًا، مفعول له ﴿مَن شَكَرَ﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط ـ عليه السلام ـ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ فكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ متشاكين ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. روي أنهم لما عالجوا باب لوط ـ عليه السلام ـ ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١] فصفقهم جبريل ـ عليه السلام ـ بجناحه صفقة فتركهم يتردّدون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة ﴿بُكْرَةً﴾ أوّل النهار وباكره، كقوله: مشرقين، ومصبحين. وقرأ زيد بن ـ علي رضي الله عنهما ـ: «بكرة»، غير منصرفة، وتقول: أتيته بكرة وغدوة بالتنوين. إذا أردت التنكير، وبغيره إذا عرّفت وقصدت

---

(١) يا سائلي إن كنت عنها تسأل ... مرت بأعلى السحرين تذأل

يقول: يا من تسألني إن كنت تسألني عن الحمر الوحشية لا غير، فقد مرت بأعلى السحرين وهو السحر الذي قبل انصداع الفجر. والأدنى: هو الذي عند انصداعه، أي مرت في السحر الأول تذأل بالهمز، أي: تسرع في المشي من ذأل كمنع: إذا مشى في خفة. ومنه: ذؤالة الذئب، وبين تسأل وتذأل الجناس المضارع.

ينظر: لسان العرب (سحر)، (ذأل)، وتهذيب اللغة ٤/ ٢٩٣، وتاج العروس (سحر)، (ذأل)، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٧، والمخصص ٩/ ٤٧، وكتاب العين ٣/ ١٣٦، ٨/ ١٩٨.

بكرة نهارك وغدوته ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة. فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾؟ قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأوّلين ادّكارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن[1] تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١٣] عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمٰن، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥] عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب. مصورّة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

﴿النُّذُرُ﴾ موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. أو جمع نذير وهو الإنذار ﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ بالآيات التسع ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين: قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون، أي أهم خير قوّة وآلة ومكانة في الدنيا. أو أقلّ كفرًا وعنادًا يعني: أنّ كفاركم مثل أولئك بل شرّ منهم ﴿أَمْ﴾ أنزلت عليكم يا أهل مكة ﴿بَرَاءَةٌ﴾ في الكتب المتقدّمة. أنّ من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله، فأمنتم بتلك البراءة ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ممتنع لا نرام ولا نضام. وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر، فتقدّم في الصف وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه، فنزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ عن عكرمة: لما نزلت هذه الآية قال عمر: أيّ جمع يهزم، فلما رأى رسول الله ﷺ يثب في الدرع ويقول: «سيهزم الجمع» عرف تأويلها (١٥٢٨) ﴿وَيُوَلُّونَ

١٥٢٨ ـ ١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥٩)، وابن جرير الطبري (١١/ ٥٦٧) (٣٢٨٢٣) كلاهما من طريق معمر عن أيوب قال: لا أعلمه إلا عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت: «سيهزم =

---

(١) قوله: «ويقعقع لهم الشن» القربة الخلق، كذا في الصحاح. (ع)

﴿ٱلدُّبُرَ﴾ أي الأدبار كما قال [من الوافر]:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ....[1]

وقرئ: «الأدبار» ﴿أَدْهَىٰ﴾ أشدّ وأفظع. والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه ﴿وَأَمَرُّ﴾ من الهزيمة والقتل والأسر. وقرئ: «سنهزم الجمع».

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ في هلاك ونيران. أو في ضلال عن الحق في الدنيا، ونيران في الآخرة ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ كقولك: وجد مسّ الحمى وذاق طعم الضرب؛ لأنّ النار إذا أصابتهم بحرّها ولفحتهم بإيلامها، فكأنها تمسهم مسّا بذلك، كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم. وذوقوا: على إرادة القول. و«سقر»: علم لجهنم. من سقرته النار وصقرته إذا لوّحته. قال ذو الرمّة [من الطويل]:

إِذَا ذَابَتِ الشَّمْسُ اتَّقَى صَقَرَاتِهَا بِأَفْنَانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُغْبِلِ[2]

= الجمع»...

قلت: وهذا إسناد منقطع، فإن عكرمة لم يسمع من عمر
لكن للحديث شاهد من حديث ابن عباس.
أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١٨) كتاب المغازي (٦٤) ـ حديث رقم (٣٩٥٣) وأحمد في مسنده (١/ ٣٢٩) والطبراني في الكبير (١١/ ٣٤٨) (١١٩٧٦) عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر «اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، فخرج وهو يقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وحديث عمر عزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ٨١) للطبراني في الأوسط وقال فيه محمد بن إسماعيل الأنصاري ولم أعرفه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨٤) لابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
وقال الحافظ:
أخرجه عبدالرزاق عن معمر عن قتادة، وعن أيوب عن عكرمة «أن عمر ـ فذكره» وأتم منه. ورواه من هذا الوجه إسحاق، والطبري، وابن أبي حاتم، ورواه الطبري في الأوسط من رواية عبد المجيد بن أبي رواد عن معمر عن قتادة عن أنس عن عمر موصولاً. انتهى.

---

(١) تقدم.

(٢) لذي الرمة يصف بقر الوحش، يقال: ذابت الشمس إذا اشتد حرها حتى يتساقط من شعاعها مثل اللعاب، وصقر الصخرة بالمصقر: ضربها بالمعول ليكسرها. وصقرته الشمس: إذا ضربته فغيرت =

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر[1] وقرئ: «كل شيء» بالرفع. والقدر والقدر: التقدير. وقرئ بهما، أي: خلقنا كل شيء مقدّرًا محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة. أو مقدّرًا مكتوبًا في اللوح. معلومًا قبل كونه، قد علمنا حاله وزمانه ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ أراد قوله كن، يعني أنه إذا/ ٢/ ٢٠٤ب أراد تكوين شيء لم يلبث كونه.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾

= لونه. وصقرة الشمس: اشتداد وقعها على الأرض. والأفنان، جمع فنن وهو مجتمع الورق الملتف المتكاثف في الغصن. والمربوع: الذي أصابه مطر الربيع. والصريمة: الرملة المتصرمة من الرمال. والمعبل: كثير الورق مفتوله. يقول: إذا اشتد حر الشمس توقى شدائده بأغصان شجر سقاه الربيع في هذا الموضع من الرمال. والمعبل: كثير الورق. ومعبل: بدل من مربوع، كأنه جامد. ويجوز أنه نعت له، على أن إضافته من إضافة الوصف إلى الظرف، فلا تفيده التعريف، فيصح وصفه بالنكرة.

ينظر: ديوانه ص ١٤٥٨، ولسان العرب (ذوب)، (صقر)، (ربع)، (عبل)، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٧٥، ٤٠٩، ٨/ ٣٦٥، ١٥/ ٢١، وتاج العروس (ذوب)، (صقر)، (عبل)، وأساس البلاغة (ذوب)، وكتاب العين ٥/ ٦٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٦٦، ومقاييس اللغة ٢/ ٣١٤، ٣/ ٢٩٧.

(١) قال محمود: «منصوب بمضمر يفسره الظاهر» قال أحمد: كان قياس ما مهده النحاة: اختيار رفع (كل) لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة، وإنما كان كذلك؛ لأن الكلام مع الرفع جملة واحدة، ومع النصب جملتان، فالرفع أخصر، مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الأصناف الستة، أعني: الأمر، والنهي... إلى آخرها، ولا أجد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعدونه من محال اختيارهم للنصب، فإذا تبين ذلك فاعلم أنه إنما عدل عن الرفع إجماعًا لسر لطيف يعين اختيار النصب: وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي: (خلقناه) صفة لشيء، ورفع قوله: (بقدر) خبرًا عن كل شيء المقيد بالصفة، ويحصل الكلام على تقدير: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر، فأفهم ذلك أن مخلوقًا ما يضاف إلى غير الله تعالى ليس بقدر، وعلى النصب يصير الكلام: إنا خلقنا كل شيء بقدر، فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرفع مع ما في الرفع من نقصان المعنى ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تامًا واضحًا كفلق الصبح، لا جرم أجمعوا على العدول عن الرفع إلى النصب، لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات إلى مخلوق الله ومخلوق لغير الله، فيقولون: هذا لله بزعمهم، وهذا لنا: فغرت هذه الآية فاه، وقام إجماع القراء حجة عليه، فأخذ يستروح إلى الشقاء، وينقل قراءتها بالرفع؛ فليراجع له ويعرض عليه إعراض القراء السبعة عن هذه الرواية. مع أنها هي الأولى في العربية، لولا ما ذكرناه، أيجوز في حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظًا ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا؟ وهو المخير فيما يحكم به، فإلى الله ترجع الأمور.

﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطور في اللوح.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾

«ونهر» وأنهار، اكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء من النهار. وقرئ بسكون الهاء. ونهَر: جمع نهر، كأسد وأسد ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضيّ. وقرئ: «في مقاعد صدق» ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ مقرّبين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القمر في كل غب[1] بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر» (١٥٢٩).

١٥٢٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦)

وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أُبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله: «في كل غب بعثه الله» في الصحاح «الغب»: أن ترد الإبل الماء يومًا وتدعه يومًا. والغب في الزيارة: قال الحسن: في كل أسبوع. (ع)